إشكالية تصنيف القصص الشعبي في التراث الشفوي

The problem of categorizing folk stories in oral heritage

الاسم واللقب[1]: محمد بوذينة
دكتور في الأدب العربي
[1] أستاذ مؤقت بجامعة حمه لخضر الوادي
البريد الإلكتروني: mohammed.boudina@univ-msila.dz
رقم الهاتف: 0665.97.60.84

ملخص البحث

أخذ القصص الشعبي حيزا كبيرا من اهتمام الباحثين في ميدان الثقافة الشعبية, الذين اعترضتهم عدد من القضايا المهمة في هذا المجال, منها النقاش الدائم حول التشابه والاختلاف في نصوص القصص الشعبي، ومدى الدلالة حول الأصل المشترك أو المختلف لها، كما بحثوا في نشأتها وأصولها، ولكن أبرز ما يعترضهم هو إشكالية تصنيف القصص الشعبي وإشكالية المصطلح اللذان يقفان حجرة عثرة أمام الباحثين. ويهدف البحث إلى إبراز قيمة القصص الشعبي في حياة السلف من الأجداد, لما يحمل من قيم اجتماعية, أخلاقية وثقافية وانسانية وغيرها من الأبعاد التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة اليومية حينها.

ومن نتائج هذا البحث هو تشارك الباحثين في تعريفهم للقصص الشعبي رغم اختلاف المصطلح, فنجد من يطلق على الخرافة حكاية خرافية أو شعبية أو رمزية, ولكن المفهوم هو ذاته. كما تعمل أصناف القصص باختلافها على توحيد الأبعاد الدلالية بمختلف اتجاهاتها.

كلمات مفتاحية: القصص الشعبي. الحكاية الخرافية.، حكاية الحيوان.، الفابولا.، حكاية البطولة.

Abstract:

These researchers have objected to a number of important issues in this area, including the constant debate about the similarity and differences in the texts of popular stories, and the extent to which they are indicative of the common or different origin of them, but the most prominent of which is the problem of categorizing popular stories and the problematic term that stand in front of researchers. The research aims to highlight the value of popular stories in the lives of ancestors, because of the social, ethical, cultural, human and other dimensions that are closely related to everyday life at that time.

One of the results of this research is the participation of researchers in their definition of popular stories despite the different terms, we find those who call superstition a fairy tale, popularity or symbolism, but the concept is the

same. Different story genres also unify semantic dimensions in different directions.Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article.(
Keywords: Folk stories. The fairy tale, the animal tale, the fabola, the tale of heroism.

1– مقدمة:

القصص الشعبي كائن شفاف رقيق يقف على أبواب قلوبنا ويدق على نوافذ عقولنا حاملا هدايا ضخمة، وبين يديه لفائف كبيرة يريد أن يسلمها لنا، أمانة من تراث أجدادنا استودعوها لنا عندها، تنتظر أمام أبواب بيوتنا تستأذن الدخول, ورغم الاختلاف الكبير في تصنيفه بين الباحثين إلا أنه يتميز بما لا يمكن لصنف آخر من أصناف الأدب أن يكشفه عن الحياة القديمة للسلف.

ومن هنا يمكن طرح التساؤل التالي: ما مدى الاختلاف في تصنيف القصص الشعبي في أوساط الدارسين؟ وكيف يمكن توحيد الرؤى بينهم إذا كان الاختلاف قد تجسد فعلا في التصنيف وفي المصطلح على حد سواء؟

يهدف البحث إلى الكشف عن مفهوم القصص الشعبي بمختلف أصنافها ومصطلحاتها, سواء عند الدارسين الغرب, العرب أو الجزائريين, لأنه يمكن لهذا التراث الشفوي المتناقل بين الأجيال مشافهة أن يعبر عن الحياة القدية أيا كانت. كما وصلت في آخر البحث إلى تصنيف يمكن للدارسين التقيد به في حال توفرت لهم المادة العلمية الشفوية المتمثلة في عدد من القصص المختلفة.

2– اشكالية تصنيف القصص الشعبي:

أ– في الدراسات الغربية:

يقول "فلاديمير بروب – Vladimir Propp"* في مشكلة التصنيف بأن تنوع القصص الشعبي كان سببا كافيا لعدم القدرة على دراستها بشكل مباشر مما يحتم تقسيم القصص إلى عدة

أقسام. فالتصنيف الدقيق يعد الخطوة الأولى في الوصف العلمي الدقيق، والوصف الصحيح يؤدي إلى الدراسة الصحيحة بالتأكيد.[1]

ومنه وجب على الباحثين الشعبيين اتباع تصنيف مدروس للقصص الشعبي بدل دراستها ككتلة واحدة وهنا كانت الإشكالية، فأي تصنيف للقصص هو الأدق؟ وأي منهج هو الأصوب؟ في ظل التخبط الكبير للباحثين في كيفية التصنيف. فكانت بداية التقسيمات قد ميزت بين القصص العجيب وقصص الحيوان على يد الباحث "ميلر- Miler"[2] وما ينقصه هو عدم إيفاء هذا التقسيم لكل الأصناف دون استثناء، فالحكايات الشعبية والواقعية والاجتماعية... لا تنتمي لهذين القسمين.

من الباحثين الذين تعرضوا للقصص واتبعوا تصنيفا معينا نجد الباحث الأمريكي "آرن تومسون – Arne Thomson" الذي صنف القصص من حيث المحتوى لا من حيث الشكل أو البناء التركيبي "فقد عكف على تفتيت الحكايات إلى أجزائها الصغيرة بقصد تحديد الأنماط الأساسية التي يندرج تحتها القصص الشعبي"[3] واتبع "آرن" طريقة أرشفة أو فهرسة الحكايات كما يلي[4]:

- قصص عن الحيوانات – قصص صرفة – أحدوثات.

والقصص العجيب حسبه ينقسم إلى الفئات التالية: (العدو السحري- الزوج أو الزوجة السحري- المهمة السحرية- المساعد السحري- الأداة السحرية- القوة السحرية)[5] فقد ربط العجيب بما هو سحري واستثنى عددا من العلاقات والمسارات السردية التي وإن لم تكن سحرية إلا أنها تنتمي لعالم العجيب والخيال، فكل ما يثير الدهشة في النفوس هو في الحقيقة عالم خيالي عجيب. في حين قسم "بول دولاري – Paul Delarue" القصص الشعبي حسب فهرستها كما يلي[6]:

- حكايات خالصة: تشتمل على كل من الحكاية: الخرافية- الواقعية- الدينية- الأغوال الأغبياء.
- حكايات الحيوانات.
- الحكايات المرحة: تضم عددا من الحكايات من بينها: القصص التي تهزأ من الأغنياء والأقوياء- القصص التي تهزأ من الفقراء والضعفاء- القصص التي تهزأ من سكان أو سلالة معينة...

أما الألماني "فوندت – Wundt" فقد حاول في تقسيمه أن يلم بأكبر عدد ممكن من الحكايات مستفيدا من الدراسات التي سبقته فجاء تقسيمه بالشكل الآتي[7]:

- الفابولات الميثولوجية – حكايات السحر الخرافية الصرف.
- فابولات الحيوانات – الخرافات والفابولات البيولوجية.
- فابولات أخلاقية – حكايات أصول القبائل والشعوب.
- حكايات هزلية خرافية وفابولات هزلية.

ونحن هنا لسنا في مقام نقد، ولكننا نحاول كشف الاختلاف بين الطرق والمناهج المتبعة في التصنيف، فمرة نجده يعتمد على الموضوع أو المحتوى، وأخرى يعتمد على النوع والشكل.

لقد عرف تصنيف القصص الشعبي قفزة نوعية إثر أعمال المدرسة الشكلانية الروسية متمثلة في دراسة فلاديمير بروب ومنهجه المورفولوجي الذي قسم الحكايات إلى مجموعة من الوظائف لا تخرج عن إحدى وثلاثين وظيفة "فما إن يتم عد الوظائف حتى يصبح بالإمكان تجميع القصص التي تصطف فيها نفس الوظائف، وبذا يمكننا اعتبارها قصصا تنتمي إلى نفس النمط"[8]. ويعد بروب أول من أرسى منهجا واضح المعالم والرؤى من خلاله وجد الدارسون المنهج الذي افتقدوه في تصنيفاتهم، فالتحليل المورفولوجي وصف للحكايات تبعا لأجزائها المكونة لها، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض، إضافة إلى علاقتها بالكل.[9] وهذا كله يتوقف على الشكل دون الغوص في محتوى النصوص القصصية، وهذا ما كان يعاب على المنهج الوظائفي، حينها تعمقت دراسة "كلود ليفي ستراوس –C.Lévi Strauss"[10]* على الأسطورة في استخراج عدد من الثنائيات الضدية المكونة لها اتسمت بالعمق، ولم يخل كذلك من نقد الفلوكلوريين.

ب– في الدراسات العربية:

الكثير من الدارسين في السرد الشعبي تعرضوا لتصنيف القصص الشعبي بطرق مختلفة وتصنيفات تتمايز فيما بينها من حيث الشكل والمحتوى ومن أبرزهم:

– الباحثة المصرية نبيلة إبراهيم التي قسمت القصص الشعبي إلى حكايات خرافية وأخرى شعبية، وكل منها إلى مجموعة أخرى من التصنيفات الفرعية، فكان تصنيفها الأول يقوم على أساس النوع

ومنه: الحكاية الخرافية، حكاية الحياة اليومية وحكايات الحيوان. وسرعان ما تعرض هذا التقسيم إلى النقد والتساؤلات حول مدى قدرته على تقسيم كل أصناف القصص بشكل صحيح.

كما صنفت القصص الشعبي بحسب محتواه إلى موضوعات عديدة "ومن هنا يجدر بنا أن نصنف الحكايات الشعبية التي تمثل جوانب الحياة المختلفة حسب محتواها إلى الموضوعات الآتية: حكايات الواقع الأخلاقي، حكايات الواقع الاجتماعي، حكايات الواقع السياسي، حكايات تكشف عن موقف الإنسان الشعبي من العلم الغيبي، حكايات المعتقدات ثم الحكايات الهزلية "[11]

– أما عبد الحميد يونس فقد أطلق على القصص الشعبي مصطلح الحكايات الشعبية وذكر أنواعها كما يلي: حكاية الحيوان، حكاية الجان، حكاية الشطار، الحكاية المرحة، الحكاية الاجتماعية، حكاية الألغاز والسير الشعبية.[12]

– ونسترسل في كيفية تصنيف القصص الشعبي ونتعرض إلى القواعد والأسس التي اعتمدها الباحثون، نجد أن الدكتور طلال حرب قد استخدم مصطلح الحكايات الشعبية بدل القصص الشعبي مثله مثل عبد الحميد يونس، وقسمها إلى عدد من الحكايات:

– الحكاية العجيبة – الحكاية الواقعية.

– الحكاية التعليمية – الحكاية الوعظية.

– حكاية المعتقدات – الحكاية الرمزية – حكاية البطولة.

وقد فضل الباحث مصطلح الحكاية العجيبة على الحكاية الخرافية، لأن مصطلح (خرافة) يتضمن الكذب والفساد وهما أمران بعيدان كل البعد عن هذا النوع من الحكايات التي تشدها رابطة منطقية متينة تدفعها نحو هدف محدد، في حين مصطلح (عجيبة) انطلاقا من بنيتها الحافلة بالعجائب.[13]

* من خلال التقسيمات السابقة نلاحظ مدى التداخل بين أصناف القصص الشعبي أو الحكايات الشعبية كما سماها البعض، فعبد الحميد يونس وطلال حرب فقد قسما الحكايات الشعبية بطريقة مباشرة باعتماد التصنيف العام لها دون التطرق إلى التصنيفات الفرعية لكل منهما، فلو نظرنا إلى نبيلة ابراهيم نجدها قد صنفت حكاية الواقع الاجتماعي (الحكاية الاجتماعية عند عبد الحميد يونس) في خانة الحكاية الشعبية. أي تصنيف عام وهو الحكاية الشعبية، وصنف فرعي لها هو الحكاية الاجتماعية.

ج– في الدراسات الجزائرية:

تعددت المصطلحات واختلطت بين العديد من الدارسين ، فكل باحث في مجال الفنون الشعبية صنف القصص الشعبي بطريقته الخاصة ومنظوره الخاص لها، كما طرحت إشكاليات كثيرة في العديد من الملتقيات والندوات والمحاضرات. وفي هذا المجال يرى عبد الحميد بورايو بأن " مسألة تصنيف القصص الشعبي من المشاكل الأساسية التي تعترض دارس هذا اللون من أشكال التعبير"[14]

– وبالعودة إلى هذه الإشكالية ترى ليلى روزالين قريش بأن " مسألة تصنيف القصص الشعبي من المشاكل الأساسية التي تعترض دارس هذا اللون من أشكال التعبير الشعبي"[15] بحيث صنفت القصة الشعبية تصنيفا راعت فيه: حجم القصة، فكرتها الرئيسية والشخصيات.

من حيث حجم القصة: صنفت القصص إلى قصص طويلة وأخرى قصيرة.

– القصص الطويلة: تحوي كل من قصص البطولة والخرافة، وموضوعاتها مستوحاة من الأساطير، الدين وعلم الجن والحيوان.

– قسمت قصص البطولة إلى: بطولة دينية ، بطولة وعظية، بطولة بدوية وأخرى حديثة.

– قسمت الخرافات إلى: خرافة دينية ،خرافة الجن ،خرافة محلية ،خرافة شخصيات واقعية غير دينية.

_ القصص القصيرة: تحوي كل من الموعظة والفكاهة (قصص ألف ليلة وليلة، كليلة ودمنة) وموضوعاتها من الأخلاق والنكت المشهورة. وقسمت القصص القصيرة إلى قصص التسلية، قصص التخفيف عن المكبوتات وقصص ذات مغزى.[16] ومما يعاب على تصنيف ليلى قريش أنها

أهملت كل من فكرة الحكايات وشخصياتها، في حين اهتمت بالحجم فقط "واضح أن الطول أو القصر هي السمة الوحيدة التي روعيت في هذا التصنيف"[17].

– ولقد اتبعت الدكتورة حورية بن سالم في تقسيمها للقصص الشعبي الذي أطلقت عليه مصطلح "الحكاية الشعبية "من منطلق أنها تعني تلك القصص القصيرة التي لاتزال حية ومتناقلة شفويا بين الناس بشكل خاص، من قصص الحيوان أو الغيلان أو قصص الوقائع اليومية التي قد حدثت أو لم تحدث أو ستحدث"[18] والأصناف هي:

* حكاية الواقع الاجتماعي التي تستقي موضوعاتها من واقع الناس الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

* حكاية الحيوان التي تتفرع منها حكاية الحيوان الشارحة وحكاية الحيوان الخرافية.

* حكاية المعتقدات الدينية: المعتقدات الشعبية ذات الأصل الديني المتعلقة بالمعتقدات والإيمان بالقضاء والقدر والحساب والعقاب.

* الحكاية المرحة: أحدوثة قصيرة منثورة تحكي نادرة مسلية تنتهي بموقف مرح، تندر فيها الخوارق، تأخذ موضوعاتها من الحياة اليومية للمجتمع[19].

* إضافة إلى: الحكاية الخرافية، حكاية الألغاز وحكاية التواتر.

– وقد رأى الدكتور أحمد زغب أن أفضل التقسيمات للقصص الشعبي هو ذلك الذي اتبعه مصطفى يعلى في كتابه (القصص الشعبي بالمغرب) الذي ميز أربع أصناف تندرج تحت مصطلح عام يشملها جميعا ألا وهو (القصص الشعبي)[20]، متفرع منها: أولها الحكاية العجيبة التي فضلها عن مصطلح (الحكاية الخرافية) لأن هذه الأخيرة تحيلنا مباشرة إلى تراثنا العربي على لسان الحيوان مثل كليلة ودمنة. وثانيها هو الخرافة الرمزية أو الفابولا، والثالث هو الحكاية الشعبية التي تعتمد أساسا على الواقع الاجتماعي تصوره وتنقده، أما المصطلح الرابع فهو الحكاية المرحة أو النادرة.

– في حين جاءنا الباحث عبد الحميد بورايو بتصنيف ميز فيه بين أصناف أساسية وأخرى متفرعة منها. تتمايز فيما بينها في الأصل والمسار التطوري والظروف التاريخية التي ساعدت على نشأتها، مختلفة في المكونات الفنية والأسلوب والوظائف.[21] هي كما يلي:

* قصص البطولة: تحوي كل من قصص البطولة البدوية، قصص المغازي، قصص الأولياء، قصص الزهاد، قصص الخارجين عن القانون، قصص الثوار.

* الحكايات الخرافية: يندرج تحتها الحكايات الخرافية الخالصة وحكايات الأغوال الأغبياء.

* الحكايات الشعبية: حكايات الواقع الاجتماعي، الحكايات المحلية، حكايات الحيوان والنوادر.

ويرى بأن هذه الأنواع أو الفروع هي الأكثر انتشارا في الجزائر.[22]

ما يُلاحظ في تصنيف عبد الحميد بورايو أن الحكاية الشعبية احتوت حكاية الحيوان، وهذا ما لم يذهب إليه الكثير من الباحثين الذين ميزوها عن غيرها من الحكايات وكانت صنفا من القصص عامة لا الحكاية الشعبية.

3- خاتمة:

من خلال التقسيمات والتصنيفات السابقة للقصص الشعبي, سواء أكانت غربية, عربية أو جزائرية, يظهر جليا مدى الاختلاف في طرق التصنيف، فلم يتفق الباحثون حول تصنيف أو مصطلح واحد يجمع بين أصناف القصص، بل ساووا بين مصطلحي القصص الشعبي والحكايات الشعبية عند الكثير من الباحثين كعبد الحميد يونس وطلال حرب، في حين نجد الحكايات الشعبية ما هي إلا صنف من القصص عند آخرين كعبد الحميد بورايو.

إضافة إلى تعدد المصطلحات لصنف واحد، كأن نقول: الحكاية الخرافية، الحكاية العجيبة أو حكاية الغيلان أو الخوارق، أو نقول الحكاية الشعبية، الحكاية الواقعية، حكاية الواقع الاجتماعي.

إن القصص الشعبي له من الكثرة والتنوع الكثير إلى درجة يصعب معها حصره أو دراسته، لهذا كان لزاما أن تمر عملية التعاطي معه بمجموعة من المراحل الأولية الضرورية، ومنها جمعه وتصنيفه وتبويبه وأرشفته قبل مقاربته بمختلف المناهج

لذلك ارتأيت أن أقسم حكايات البحث إلى ثلاثة أقسام أساسية وتحت كل قسم عدد من الأصناف الفرعية.

الأصناف الأساسية القصص الشعبي	الحكاية الخرافية	الحكاية الشعبية	حكاية الحيوان

الأصناف الفرعية	– حكاية الغول – حكاية الجان – حكاية السحر	– حكاية الواقع الاجتماعي – حكاية الواقع الأخلاقي – حكاية الواقع السياسي	– حكاية الحيوان التعليلية – حكاية الحيوان الرمزية (التعليمية)

المراجع

* – فلاديمير بروب: (1972/1895) باحث روسي من أصول ألمانية، أتقن اللغتين الألمانية والروسية وتحصل على أعلى الرتب والدرجات العلمية، تحصل على الدكتوراه في شعبة الفلوكلور، والتحق بجامعة بتروغراد (لينغراد)في سنة 1913. وفي عام 1938 ركز بروب على الفلكلور ودافع عن أطروحته التي كانت تحت عنوان " أصل الحكاية الخرافية"، تخرج على يديه العديد من المتخصصين في علم الفلكلور، صار بعضهم من العلماء المرموقين. ورغم قلة مؤلفاته إلا أنها تكتسي أهمية كبيرة مثل: مورفولوجية الحكاية الخرافية 1928، الجذور التاريخية للحكاية الخرافية الروسية 1946، الملحمة البطولية الشعبية الروسية عام 1955.

[1] – فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، شراع للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 199، ص20.

[2] – المرجع نفسه، ص21.

[3] – نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ،دط، مكتبة غريب، الفجالة، مصر، دت، ص 11.

[4] – المرجع نفسه، ص 27.

[5] – المرجع نفسه، ص ، ص 28

[6] – عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي بمنطقة بسكرة دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص86.

[7] – نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومنسية إلى الواقعية، ص15.

[8] – فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، ص 40.

[9] – المرجع نفسه، ص 36.

* – كلود ليفي شتراوس: باحث أنثروبولوجي فرنسي، تلقَّى تعليمه الجامعي في السوربون وتخرَّج في كلية الحقوق عام 1931، ثم التحق بالبعثة الجامعية الفرنسية في البرازيل حيث أصبح أستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة ساو باولو في الفترة 1935 ـ 1939، وهي الفترة التي قام فيها بعمل أبحاث حقلية إثنوجرافية بين قبائل البورورو في وسط البرازيل والتي على أساسها أقام نظريته في علم الأساطير، وله كتب عدة منها: الأبنية الأولية لعلاقات القرابة، الأنثروبولوجيا البنيوية، ثم صدرت له مجموعة من الدراسات بعنوان الأساطير أو مقدمة لعلم الميثولوجيا.

[11] – نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومنسية إلى الواقعية ص 175.

[12] – ينظر: عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص 29،95.

[13] – طلال حرب، أولية النص، نظريات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان، ط1، 1999، ص 126.

[14] – عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي بمنطقة بسكرة دراسة ميدانية، 1984، ص63.

[15] – روزالين ليلى قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1980، ص89.

[16] – ينظر: المرجع نفسه، ص 89،96.

[17] – عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي بمنطقة بسكرة دراسة ميدانية، ص66.

[18] – حورية بن سالم، الحكاية الشعبية في منطقة بجاية دراسة ونصوص، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص74.

[19] – المرجع نفسه، ص90.

[20] – أحمد زغب، الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، مطبعة سخري، الوادي ،الجزائر، ط2، 2012، ص51.

[21] – عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 90.

[22] – المرجع نفسه، ص187.

- **معلوماتٍ ببليوغرافية :**

- فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، شراع للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 199.
- نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ،دط، مكتبة غريب، الفجالة، مصر، دت
- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي بمنطقة بسكرة دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.
- طلال حرب، أولية النص، نظريات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان، ط1، 1999.
- روزالين ليلى قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1980.
- حورية بن سالم، الحكاية الشعبية في منطقة بجاية دراسة ونصوص، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010.
- أحمد زغب، الأدب الشعبي الدرس والتطبيق، مطبعة سخري، الوادي ،الجزائر، ط2، 2012.